إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الثالثة – العدد العاشر – صيف ١٣٩٢ش/ حزيران ٢٠١٣م
صص ١٥٣ ـ ١٣٣

دراسة نقدية لدوافع التشاؤم بالغراب بين الفارسية والعربية

يحيى معروف*

الملخص

انعكست ظاهرة التشاؤم بالغراب منذ مئات السنين فى كل من الأدبين: الفارسى والعربى. فكل شاعر فارسى أو عربى تكلَّمَ عن الغراب، احتج بأنه سبب للبين والخراب والدمار والهلاک. لاشک أن دوافع التشاؤم بالغراب متعددة بتعدد القوميات والدول. هذا المقال يذكر أهم دوافع التشاؤم بالغراب فى كل من الأدبين: الفارسى والعربى، وفق العناوين التالية:

١. الخرافة والتقاليد الشعبية. ٢.كراهية الناس من اللون الأسود. ٣. القصص الشعرية. ٤. الأمثال السائرة. ٥. الأحاديث المنسوبة إلى النبى (ص). ٦. استخدام الغراب فى الفنون الشعرية. ٧. الاشتقاق اللغوى للفظة الغراب. ٨. تقليد الآباء. ٩. الاعتماد على تفاسير الأحلام. ١٠. الانطباعات الخاطئة عن سفر التكوين فى التوراة.

فالمقال يسعى ليجيب عن الأسئلة التالية:

١. ما هى أسباب التشاؤم بالغراب وظهور الخرافة حوله فى الأدبين الفارسى والعربى؟

٢. هل التشاؤم بالغراب له صبغة دينية أم لا؟ ٣. وهل للتشاؤم حقيقة، أم أنه مجرد كلمات لها انبعاثات نفسية؟ ٤. لماذا بعث الله سبحانه وتعالى غراباً ليعلم بنى أدم دفن موتاهم ولم يبعث طائرا آخر ليكون المعلم الأول للأنسان؟

الكلمات الدليلية: الغراب، التشاؤم، الخرافة، الأدب الفارسى، الأدب العربى.

---

*. أستاذ مشارک بجامعة رازى، كرمانشاه، إيران. y.marof@yahoo.com

تاريخ الوصول: ١٣٩٢/٢/١ش تاريخ القبول: ١٣٩٢/٤/٢٥ش

المقدمة

يتشاءم الناس من الغراب منذ أزمان قديمة جدا ويعتبرونها من علامات النحس ولو سألنا المتشائم عن سبب تشاؤمه من تلك الأشياء فعادة لا يعرف الإجابة لأنها أمور يتوارثها الناس على مر الأجيال دون معرفة الأسباب الحقيقية وراءها وغالبا ما يكون التشاؤم بسبب عادات ومعتقدات مندثرة قد يكون لها مايبررها فی الماضی لأنها كانت تتفق مع عقلية الناس فی تلک الأزمان التی طغى عليها الجهل والاعتقاد بالخرافات.

للتشاؤم جذور من الماضی والتاريخ، وربما تكون حالات نفسية معينة. أشياء كثيرة متداخلة متوارثة تخص الفرد وحده يتشاءم أو يتفاءل بها، وأشياء أجمع الناس عليها من التفاؤل والتشاؤم. أشياء يتوارثونها على مرِّ الأجيال دون أن يعرفوا منشأها، وكثير من هذه الأشياء يرتبط بمعتقدات قديمة، وغالبا ما يكون لها أسباب ومبررات ولكنها نسيت بمضی الزمن وظلت بقاياها فی معتقدات الناس دون أن يدركوا لتصرفاتهم وسلوكهم سببا.

هذا وأدّى الغراب دوراً دينيا، حيث ذُكر فی القرآن الكريم فی سورة المائدة بأنه كان المعلم الأول الذی علَّم قابيل كيف يدفن أخاه هابيل، وكان له دور فی عملية الموت والبعث،كما جاء فی قصة إبراهيم (عليه السلام) التی وردت فی سورة البقرة. فضلاً عن ذلک ورد فی الكتاب المقدس العهد القديم، تسع مرات.

الدراسات السابقة

لقد أشار المفسرون إلى الغراب من خلال شرحهم لقصة هابيل وقابيل فی تفسيرهم للآيات الكريمة (۲۷ إلى ۳۱) فی سورة المائدة. علاوة على ذلک بحث مفسرو التوراة فی "سِفر التكوين" عن الغراب فی كتبهم.

ومن المقالات: هناک مقال فی ثلاث صفحات بعنوان «غراب الشعر» لمحمد الحجيری فی مجلة الغاوون وفيه ثلاثة نماذج عن الأبيات التی تناولت الغراب. وهناک فی المواقع الإلكترونية بعض الصفحات عن حياة الغراب وسلوكه؛ رغم ذلک لمنعثر على دراسة ونقد تفصيلی مقارن بَحَث عن أسباب ودوافع التشاؤم بالغراب وظهور الخرافة فيه.

دوافع التشاؤم بالغراب

لاشک أن دوافع التشاؤم بالغراب متعددة بتعدد القوميات والدول؛ ففی هذا المجال

يُذكر بالتفصيل أهم دوافع التشاؤم بالغراب فی كل من الأدبين الفارسی والعربی متضمنا الشواهد الشعرية فی كلتا اللغتين:

١. الخرافة والتقاليد الشعبية

فی الثقافات الشعبية عادات ومعتقدات شائعة منذ القدم توارثتها الأجيال جيلاً بعد جيل وبقيت آثارها رغم انتشـــار العلم والمعرفــة. بعض هذه العادات والمعتقدات يصل إلى درجة الخرافة والأســطورة وكثير منها لا يتصـــور العقل أن يبقى موجوداً فی عصر التكنولوجيــا والعلوم المتطورة، أضف إلى ذلک أن الكثير من هذه العادات والمعتقدات تتعارض مع الدين وقد نهى عنها الإسلام وحذر منها.

فالخرافة هی كل ما ارتبط بعالم الخيال، فأصبح جزءاً من المعتقد البشـــری لأمةٍ ما، أو شــعب، أو فئة معينة من الناس؛ كما يشــير البعض عندما يقول إنه سمع خبر خرافة، أی أنه خبر كاذب وغير منطقی ومن نسج الخيال، فيقال على كبير السن عندما يشتد به الكبر ويفسد عقله بأنه «شيخ خرف» أی يهذی فی القول، ولا يصح أن يؤخذ قوله على محمل الجد، والخرافة تشير بجميع مفرداتها إلى البعد عن الواقع الموضوعی. والحقيقة أن ليس من حضارة على وجه الأرض تخلو من الخرافة، كونها كانت سبيل البشرية الأول فی استكشاف الحقيقة، وفكّ طلاسم المحيط البيئی. ولذلک نجد الشعراء العرب والفرس يحاولون الاعتماد على الخرافة الشعبية فی كل من الأدبين.

لقد كانت بداية نشـــأة الخرافة مع بداية وجود الإنســـان على هذه الأرض، وإذا ما نظرنا لتلک الخرافة القائلة بالتشـــاؤم مـــن الغراب، إذا يرجع إلى أن صوته يختلف عن باقـــی الطيور إذ هو غريب ومزعج أيضًا. ولا يخلو تراث أی شـــعب من الشـــعوب من الخرافات ســـواء كانت هذه الخرافات ضمنت أساطيره أو ممارساته الشعائرية والدينية والسحرية الغير صحيحة.

هنا من الضروری أن نشير إلى نوع خاص من أنواع الخرافة وهو التطير فی المجتمع العربی:

خرافة التطير فی المجتمع العربی

التَطَيُّر فی اللغة: التشـــاؤم، وهو توقع حصول الشـــر. وسُمِّیَ تطيراً؛ لأنَّ العرب – ولا

الفـرس -كانُوا فى الجاهليـة إذا خرج أحدُهم لأمرٍ قصد عش طائر فيهيجه، فإذا طار من اليمين تيمن به ومضى فى الأمر، ويسمونه: «السانح». أما إذا طار من اليسار تشاءَمَ به، وكانوا يسمونه «البارح».

نوع آخر من التطير هو التشـاؤم بصوت الغراب. فلاشک أن الإسلام لايقر بالتطير والتشاؤم، بل كل الألفاظ، والأحاديث التى فيها ذكر التشاؤم هى فى الواقع نقل للشؤم من معناه الجاهلى؛ الذى كان يربط الشـؤم والتطير بالأشخاص والحيوانات، إلى معنى إسلامى يربط الشؤم بفعل الإنسان. ولهذا قالوا: ﴿طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ (يس: ١٩) ولم يحک الله التطير إلا عن أعداء الرسـل كما قالوا لرسـلهم ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُـم وَلَيَمَسَّـنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيـم * قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِن ذُكِّـرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ (يس: ١٩، ١٨) وكذلک حكى الله سبحانه عن قوم فرعون فقال: ﴿فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ١٣١). وتشاءم قوم صالح بصالح كما ورد فى الآية ﴿قَالُـوا اطَّيَّرْنَا بِکَ وَبِمَنْ مَعَکَ﴾ (النمل: ٤٧) فرد عليهم نبى الله صالح (عليه السـلام) فقـال:» ﴿قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ...﴾ يعنى أن ما حلَّ بكم من شـر وبلاء إنما هو بسـبب كفركم وعنادكم واسـتكباركم، ولا يخرج عن قضـاء الله وحكمته وعدله. فهذه المواضع حكى فيها التطير عن أعدائه فالإسـلام لايعترف بالشـؤم لا فى حيوان، ولا فى إنسان، ولا فى شىء، وإنما الشؤم هو: فعل الإنسان. كما قال تعالى: ﴿وَكُلّ إنسانٍ أَلزَمنَاهُ طائرهُ فِى عُنقِهِ﴾ (الإسراء: ١٣)

وقد رفض الإمام على (عليه السـلام) الطِّيَرَة بقوله: (نهج البلاغة، ١٣٨٧ق، حكمة ٤٠٠) «الْعَيْنُ حَقٌّ وَالرُّقَى حَقٌّ وَالسِّحْرُ حَقٌّ وَالْفَأْلُ حَقٌّ وَالطِّيَرَةُ لَيْسَتْ بِحَقٍّ...»

وممـا ذكـروا فى التطيّر ما كتبه أبو بكر محمد بـن داود بن على بن خلف الأصبهانى (المتوفـى: ٢٩٧ق) عن عوف الراهب فى كتابه "الزهرة" (٩٥/١؛ نقلا عن موقع الوراق (www.alwarraq.com

غلـطَ الذينَ رأيتهـمْ بجهالةٍ　　يلحـوْنَ كلُّهـمُ غُرابـاً ينعقُ
إنّ الغرابَ بيُمنهِ تُدنى النَّوى　　وتشتُّ بالشّملِ الشّتيتِ الأينقُ

وذكر شهاب الدين أحمد الأبشيهى فى كتابه (المستطرف فى كل فن مستظرف) قائلا: (٨٨١/٢) «العرب أعظم ما يتطيرون منه الغراب فالقول فيه أكثر من أن يطلب عليه شاهد ويسمونه حاتما لأنه يحتم عندهم بالفراق ويسمونه الأعور على جهة التطير بصرا وفيه يقول بعضهم:

إذا ما غراب البين صالح فقل به　　ترفق رماک الله يا طير بالبعد
لأنت على العشاق أقبح منظر　　وأبشع فى الابصار من رؤية اللحد
تصيح ببين ثم تعثر ماشيا　　وتبرز فى ثوب من الحزن مسود
متى صحت صح البين وانقطع الرجا　　كأنک من يوم الفراق على وعد

وأعرض بعضهم عن الغراب وتطير بالإبل وسبب ذلک لكونها تحمل أثقال من ارتحل وفى ذلک قال بعضهم: (نفس المصدر ٨٨١/٢)

زعموا بأن مطيهم سبب النوى　　والمؤذنات بفرقة الأحباب

وقد نسب البحترى نسبة التطير والنحوسة إلى الغراب مخاطبا إياه بابن السوداء حيث يُكره معاشرته، فقال:
www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=shqas&qid=2613&r=&rc=12

إذا ما طَلَعنا من فم الصّلح شَرّق الـ　　غُرَابُ، وغاد النحْسُ حيْثُ يغورُ
وكانَ ابْنُ سوْداءٍ كَرِهتُ خِلاطَهُ،　　فَأنْأى رَوَاحٌ دارَهُ، وَبُكُورُ

وعن قبح منظر الغراب فى التقاليد الشعبية قال جلال الدين محمد الشهير بالمولوى: (٢٧٣١ش، ٣٢١/١)

زاغ اگر زشتی خود بشناختی　　همچو برف از درد و غم بگداختی

الترجمة: لو كان الغراب عرف قبح منظره لكان يذوب كالثلوج من شدة الألم والهم.

وقد وصفت الشاعرة المعاصرة الإيرانية "بروين اعتصامى" الغراب بأنه قبيح المنظر: (ديوان، ٧٧٣١ش: ٣٨١)

طاووس را چه جرم اگر زاغ زشت روست　　این رمزها به دفتر مستوفی قضاست

الترجمة: ماذنب الطاووس اذا كان الغراب قبيحا ...

يقول الجاحظ عن قبح أفراخ الغراب قائلا: (الحيوان، ٨١٣/٢) وزعم الأصمعى

عــن خلفٍ الأحمر، أنّه قال: رأيت فرخ غراب فلــم أر صورة أقبحَ ولا أسمجَ ولا أبغضَ ولا أقــذرَ ولا أنتنَ منه. وزعم أنّ فِــراخَ الغربان أنتنُ من الهدهد – على أنّ الهدهدَ مَثَلٌ فى النّــتن – فذكر عِظَمَ رأسٍ وصِغَرَ بدن، وطولَ منقار وقِصَرَ جناح، وأنّه أمرطُ أســود، وساقط النّفس، ومُنتن الرّيح.

وقد شبَّه الشاعر الضرير، الشــامى الكرمانشاهى، الغرابَ بالإنسان السوء والبلبلَ بالإنسان الطيب قائلا: (۱)

زاغ بودم در چمن يا بلبل افسرده حال   در گلستان جهان گل يا گياه بودم گذشت

الترجمــة: مضــى العمر إن كنتُ غرابا فى الخميلة أو بلبلا كئيبا   أو كنتُ ورداً فى حدائق العالم أو نبتاً.

وقد شــبَّه الشاعر الفارسى جلال الدين الرومى المشــهور بالمولوى، الطبائعَ السيئةَ بالغربان: (مثنوى، دفتر ۵)

روح، باز است و طبايع، زاغها   دارد از زاغان و جغدان داغها

الترجمة: الروح كالباز والطبائع كالغربان فلها وَسمة من الغربان والأبوام.

وقد وصف الشــاعر الفارســى طبيب الأصفهــانى (۱۱۱۱ – ۱۸۱۱ق) فى قصيدته بــأن الغراب له قلب أســود: (طيب الأصفهانى، ديوان، قصيــدة رقم ۸۷: ۸۲۱نقلا عن: شاهرخى محمود و...، ۱۳٦۷ش: ۵۷۲)

چند باشد از قضا فرمانده و فرمان پذير   در چمن زاغ سيه دل، در قفس، بلبل اسير

الترجمة: إلى متى سيبقى البلبل فى القفص من سوء قضاءه ويمرح الغراب السوداوى القلب فى الخمائل؟!

۲. كراهية الناس من اللون الأسود

اللون الأســود للغراب فى إطار الموروث الثقافى والنفســى لــون مكروه لدى عامة الناس. هذا اللون يدل الإنسان إلى الحزن والشؤم والموت؛ فالغربان سوداء فطبيعى أن تُنسب اليها الحزن والشؤم والموت. يقول النابغة الذبيانى: (الديوان: ۳۸)

مِــن آلِ ميــة رائِــحٍ أو مغتَدِ   عجــلان ذا زادٍ وغير مزودِ
أَفِد التَرجلُ غــير أَن رِكابنا   لمــا تــزل بِرِحالِنــا وكأَن َقدِ

زعم الغراب بأَن رِحَلَتناَ غدا   وبِذاکَ خبَّرنا الغداف الأَسود

لامرحبًـا بِغـدٍ ولا أَهـلا بِهِ   إِن کان َتفريق الأَحِبةِ فی غدِ

يصور الشـاعر مشـهد فراق أحبته، فالغراب شـاهد على واقعة الرحيل، ويوظف الشـاعر اللون الأسـود، لأنّه يريد أن يؤكد أن لعنة الغراب تكمن فی سواده، وكأن هذه اللعنة التی حطت على الغراب فسـودت لونه مـا زالت تنتقل منه إلى الناس، فتنذرهم بالرحيل والتفرق، وتعطی شعورا بعدم الثقة فی اللقاء مرة أخرى، فالصورة بذلک توحد لا شعوريا بين ريش الغراب الأسود، وبين كل ما يحول بين الشاعر وحبيته، فيصبح كل ما يفرق بينه وبينها أسود. (محمد على، إبراهيم، ۲۰۰۱م: ۱۸۰-۱۸۱)

أضـف إلى ذلـک أن العرب كانوا يطلقون على عبيدهم السـود اسـم (أغربة)؛ مما يجعل لدى عنترة بن شداد العبسی حساسية خاصة تجاه هذه الكلمة، كأنّه يرى أن لونه الاسـود هو سبب شقاء نفسه ومأساته، وهو سـبب رحيل حبيبته عبلة. لأن لون عنترة لون غرابی أسود، وفی هذا يقول: (عنترة: الديوان: ٦٢)

يا عبلَ كم يشجی ُفؤادی بِالَنوی   ويروعنی صوت الغرابِ الأَسودِ

وقد ذهب الشـعراء بعيدا فی توظيف سـواد الغراب فی أشـعارهم ورسـم صورهم الشعرية التی وظفت سـواده، فنراهم يتحدثون عنه وكأنه علامة مميزة للتشاؤم والفراق والألم واصفين الغراب بأوصاف عديدة.

وصف البحتری فی قصيدة يمدح فيها اسماعيل بن شـهاب، طائرَ الباز بالحسن بسبب بياضه والغراب بالسواد: (البحتری، ۱۹٦۳م: ۸٤/۱)

وبياضُ البازی أصدقُ حُسنا   إن تأملتَ مِن سـواد الغرابِ

عادة نجد أن البياض فی البشرة يمّثل لون السادة والأشراف بينما يمثل اللون الأسود الغرابی لون العبيد والخدم، وخصوصا عند الشعراء السود الذين أُطلق عليهم اسم أغربة العرب للونهم الأسـود الذی يرمز للدونية والعبودية،"فهؤلاء الشـعراء كانوا لا يحسنون الدبيب إلى القصور ولا يتقنون التسـرب إلى الطبقة العليـا فی المجتمع" (بدوی، عبده، ۱۹۸۸م: ٤) وفی ذلک يقول عنترة: (الديوان، ۱۹۹۲م: ۲۰۱)

فَـإِن تَـک أُمـی غرابية   مِن أبْناء حـامٍ بِها عِبَتنی

فَـإِنّى لَطيفٌ بِبيضِ الظبى　　وسمرِ العـوالى إذا جِئتنى

فعنترة رغم سـواده وسـواد أمه، فهو شـاعر فارس مغوار يقود الجيش فى المعارک، فالشاعر استخدم لون الغراب للتعبير عن الدونية التى كان يعايره بها قومه وغيرهم، فلون الغراب أدى دورا فى التعبير عن انحطاط الطبقة التى ينتمى لها أغربة العرب، وذلک بسبب أمهاتهـم اللواتى ورثنهـم هذا اللون، فنظرة المجتمع للأم السـوداء نظرة ملؤها الاحتقار والدونية، وهذا انعکس على أبنائهم. فاستخدم الشاعر الغراب لسواده والشؤم منه.

٣. القصص الشعرية

لقد انتقل التشاؤم عبر القصص الشعرية للأطفال وللكبار فى كل من الأدبين الفارسى والعربى. انه لاينسى الإيرانيون قصة الغراب والثعلب لحبيب يغمايى فى کتبهم المدرسية عندما نسب إلى الغراب الحماقة والجهالة والذكاء للثعلب قائلا:

زاغکـى قالـب پنـيرى ديـد　　به دهـن برگرفـت و زود پريد
بـر درخـتى نشسـت در راهى　　کـه از آن مى‌گذشـت روباهى
روبَـهِ پـر فريب و حيلت سـاز　　رفـت پاى درخـت و کرد آواز
گفت بـه بـه چه‌قـدر زيبايى!　　چه سـرى چه دمى عجب پايى!
پر و بالت سـياه رنگ و قشنگ　　نيسـت بالاتر از سـياهى رنگ
گرخوش آوازبودى وخوشخوان　　نبُـدى بهـتر از تـو در مرغان
زاغ مى‌خواسـت قارقـار کند　　تاکـه آوازش آشـکـار کنـد
طعمه افتاد چون دهان بگشـود　　روبهک جست و طعمه را برُبود

الترجمة: رأى غرابا قطعة جبنة فأخذها بمنقاره وطار؛ فجلس على شجرة فى طريق يمـر فيه ثعلب؛ فاقترب الثعلب المحتال من الشـجرة وقال لـه: يا لک من غراب جميل! ماأجمل رأسـک وذَنَبک ورِجْلک! أرياشُک وأجنحتُک السوداء جميلةٌ فليس أجمل من اللـون الأسـود لو کان صوتک جميلا لمـا کان فى الوجود أفضل منک قـطُّ؛ فلما أراد الغراب النيعق ليُبدى بصوته سقطت الطعمة من فيه فوثب الثعلب وأخذ الطعمة فورا.

وقال برويز ناتل خانلرى فى شعره (عقاب و زاغ) أى (العقاب والغراب) وهو يقارن

بين العقاب والغراب ويدعى بأن الغراب له عمر طويل بسبب أكل الجيف حيث قال:
www.smartsch.com/forums/showthread.php?p=348

گشت غمناک دل و جان عقاب　　چو ازو دور شد ایام شباب
آشیان داشت بر آن دامن دشت　　زاغکی زشت و بد اندام و پلشت
سالها زیسته افزون ز شمار　　شکم آکنده ز گند و مردار
من و این شهپر و این شوکت و جاه　　عمرم از چیست بدین حد کوتاه؟
تو بدین قامت و بال ناساز　　به چه فن یافته ای عمر دراز ؟
زاغ گفت: ار تو در این تدبیری　　عهد کن تا سخنم بپذیری
دیگر این خاصیت مردار است　　عمر مردار خوران بسیار است
اینک افتاده بر این لاشه و گند　　باید از زاغ بیاموزد پند
بال بر هم زد و بر جست ز جا　　گفت: که «ای یار ببخشای مرا
سالها باش و بدین عیش بناز　　تو و مردار تو و عمر دراز
من نیم در خور این مهمانی　　گند و مردار تو را ارزانی
گر در اوج فلکم باید مرد　　عمر در گند به سر نتوان برد»
شهپر شاه هوا، اوج گرفت　　زاغ را دیده بر او مانده شگفت
لحظه‌یی چند بر این لوح کبود　　نقطه‌یی بود و سپس هیچ نبود

الترجمة: حزن فؤاد العقاب عندما أحس بفقد أيام شبابه وكان له عش فى وادى السهل. وكان بقربه غراب كريه المنظر عمر طويلا وله بطن ملىء بالجيف فسأل نفسه: لماذا كان عمرى قليلا رغم جناحى الملكى ورغم عظمتى وشوكتى؟! فخاطب الغراب قائلا: كيف عُمِّرتَ ويلا رغم هذه الأجنحة الكريهة؟ فأجابه الغراب: اذا أردت الجواب ففكِّر فى كلامى فالجواب هو أن هذا العمر الطويل يرجع إلى أكل الجيف لان عُمْرَ آكلة الجيف طويل جدا! فالآن على العقاب أن يتعلم العبرة من الغراب! فطار الغراب من مكانه فقال: اعذرنى يا صاحبى فعِش طويلا بأكل الجيف وافتَخِر به! فأنا لست لائقا بهذه الضيافة فطوبى لک الجيف والروائح النتنة فإن قُدِّرَ لى أن أموت فى ذروة السماء فهذا أفضل لى من العيش بين الجثث والجيف! فطار العقاب فى السماء فتعجب منه

الغراب. ظهر العقاب كنقطة فى السماء ثم انمحى عن الوجود.

فالشاعر اِتَّهمَ الغراب بأنه خبيث بسبب أكله الجيف وسبب عمره الطويل يرجع إلى نوعية أكله!

ونجد مثل هذا المشهد التشاؤمية فى قول كمال الدين البافقى المشهور بـ"وحشى": (٢)

قول زاغ وغزل مرغ چمن هردو یکی است　نغمه بلبل وغوغای زغن هر دو یکی است

این ندانسته که قدرهمه یکسان نبود　زاغ را مرتبه مرغ خوش الحان نبود

الترجمة: كلام الغراب وغَزَلُ طير الخمائلِ يستويان؟ وكذلك نغمات البلبل وغوغاء الغراب يستويان؟ فهو لايدرى ان منزلتهما غير متساويين، فمنزلة الغراب تختلف تماما عن منزلة البلبل.

ونواجه مثل هذه الصورة التشاؤمية فى القصص الشعرية العربية كما نقل الدميرى فى "حياة الحيوان الكبرى" قائلاً: (٣٣/٢)

ذهب الغراب ليتعلّم مشية القطاة فلم يتعلّمها، ونسى مشيته فلذلک صار يحجل، فأنشد بعضهم:

إنَّ الغُرَابَ وَكَانَ يَمْشِى مَشْيَةً　فيمَا مَضَى مِنْ سَالِفِ الأَجْيَالِ

حَسَدَ القَطَاةَ وَرَامَ يَمْشِى مَشْيَهَا　فَأَصَابَهُ ضَرْبٌ مِنَ العُقَّالِ

فَأَضَلَّ مِشْيَتَهُ وَأَخْطَأَ مَشْيَهَا　فَلِذَاکَ سَمَّوْهُ: أَبَا المِرْقَالِ

ويقول أحمد شوقى فى خاتمة قصيدةٍ قصصيةٍ له عن لسان شاة: (نقلا عن موقع: www.adab.com)

فإن قَوْمِىَ قالوا:　وجْهُ الغُراب مَشوم

٤. الأمثال السائرة

ذكر صلاح الدين الصفدى نماذج من الأمثال السائرة بقوله: (١٤٠٩ق: ٤٨/١)

«...وقال أرباب طبائع الحيوان: أشأم من غراب البين إنما لزمه ذلک لأن الغراب إذا بان أهل الدار للنجعة وقع فى موضع بيوتهم يتلمس ويتقمم فتشاءموا به وتطيروا منه إذ كان لا يعترى منازلهم إلا إذا بانوا فسموه غراب البين ثم كرهوا إطلاق ذلک الاسم مخافة الزجر والطيرة...»

وفى هذا الإطار استخدم جلال الدين الرومى مَثَلاً من الأمثال المشتركة بين الفارسية والعربية يعنى «الذى أصبح قائدُه غرابا ينتهى إلى المقابر»: (ديوان شمس، غزليات، غزل ۲۵۱۹)

وگر زاغ است آن خاطر که چشمش سوی مردار است

کسی کش زاغ رهبر شد به گورستان روانستی

الترجمة: اذا كان الخاطرُ غرابا فعينُه تميل إلى الجُثَث والجِيَف والذى أصبح قائدُهُ غرابا ينتهى إلى المقابر.

ويشبهه فى العربية ما ذكره الأبشيهى فى كتابه (المستطرف فى كل فن مستظرف) (۷۹/۱)

ومن يكن الغرابُ له دليلاً   يمرُّ به على جِيَفِ الكلابِ

وذكر فى موضع آخر من كتابه قائلا: (۸٦/۱) «قالوا للغراب مالک تسرق الصابون؟ قال الأذى طبعى!»

وذكر "البغدادى" فى " خزانة الأدب" (٤/ ٧٦٢) قولهم:

"أشأم من غراب البين" ثم قال: "فإنما لزمه هذا الاسم لأن الغراب إذا بان أهل الدار لنجعة وقع فى مواضع بيوتهم يتلمّس ما يأكله، فتشاءموا به وتطيّروا منه، إذ كان لا يعترى منازلهم إلا إذا بانوا فسمّوه غراب البين.

٥. الأحاديث المنسوبة إلى النبى (ص)

إن غالبية الأحاديث الموجودة فى كتب العامة تنص على جواز قتل الغراب حتى لدى الحاج المحرم. لاشک أن الأحاديث المنسوبة إلى النبى (صلى الله عليه آله وسلم) فى كتب إخواننا السنة عن فسق الغراب أو قتله بحاجة إلى البحث والاستدلال العلمى ففى هذا المجال لسنا بصدد البحث عن كذب الحديث؛ فهو يتطلب مجالا أوسع.

كتَبَ الترمذى السلمى، محمد بن عيسى (۲۷۹-۲۰۹ق) فى كتابه «الجامع الصحيح سنن الترمذى» فى «باب ما يقتل المحرم من الدواب»: (ج۳) (حديث رقم ۸۳۷) «حدثنا محمد بن عبد الملک....عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم خمس فواسق يقتلن فى الحرم الفأرة والعقرب والغراب والحديا والكلب العقور... وفى (حديث رقم ۸۳۸) حدثنا أحمد بن منيع.... عن النبى صلى الله عليه و(آله) وسلم قال يقتل المحرم السبع العادى والكلب العقور والفأرة والعقرب والحدأة والغراب قال

أبو عيسى هذا حديث حسن والعمل على هذا عند أهل العلم ...»

وقــد كتب الدميرى فى كتابه «حياة الحيوان الكبرى» عن الغراب بأنه فاســق وفق حديث النبى (صلى الله عليه آله وســلم): (١٩٩/١) «... وفى ســنن البيهقى عن عائشة رضــى الله تعالى عنها، أنها قالت: قال رســول الله صلى الله عليه [وآله] وســلم: الحية فاسقة والعقرب فاسقة والفأرة فاسقة والغراب فاسق...»

وقــد أكّد فى موضع آخر من كتابه بفســق الغراب عن قول النبى (صلى الله عليه آله وسلم) أيضا: (نفس المصدر، ٣١٠/٢)

«.... وكان شــريح هذا قد أدرک النبى صلى الله عليه [آله و] وسلم وقال أبو حاتم: له صحبة. ولفظ الصيد فى الآية الأولى عام، ومعناه الخصوص، فيما عدا الحيوان الذى أباح النبى صلى الله عليه [وآله] وســلم قتله فى الحرم، ثبت عنه صلى الله عليه [وآله] وســلم أنه قال: خمس فواسق يقتلن فى الحل والحرم: الغراب والحداة والفأرة والعقرب والكلب العقور...»

وقال أحمد بن شعيب، النسائى (٣٠٣- ٢١٥ق) فى (السنن الكبرى) (ج٢): «ما يَقتُلُ المحــرمُ من الدواب» (حديث رقم ٣٨١١) «أنبأ قتيبة بن ســعيد... أن رســول الله صلى الله عليه [وآله] وســلم قال: خمس ليس على المحرم فى قتلهــن جُناح: الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور.»

وقال الحافظ أبو عبدالله محمد بن يزيد القزوينى المشــهور بابن ماجة فى سننه «باب ما يقتل المحرم» (أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى المشهور بابن ماجة، سنن ابن ماجة (٩١/٢، حديث رقم ٣٠٨٧) «حدّثنا أَبُوبَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ... عَنْ عَائِشَةَ؛ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه [وآله] وسلم قَالَ: خَمْسٌ فَوَاسِقُ يُقْتَلْنَ فِى الْحِلِّ وَالْحَرَمِ: الْحَيَّةُ وَالْغُرَابُ الأَبْقَعُ وَالْفَأْرَةُ وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ وَالْحِدأَةُ.»

وقد نبَّه بدر الدين العينى الحنفى فى كتابه عمدة القارى شرح صحيح البخارى، قائلاً: (باب ما يَقتُلُ المحرِمُ من الدواب) فإن قلت فى أحاديث الباب، الغراب والحداءة وليسا من الدواب ولو قال من الحيوان لكان أصوب (٤٢/١٦)

وقــد جاء حديــث أخرجه ابن ماجه عــن ... عن النبى أنه قال يقتــل المحرم الحية

والعقرب والسبع العادى والكلب العقور والفأرة الفويسقة فقيل له لم قال لها الفويسقة قال لأن رسول الله استيقظ لها وقد أخذت الفتيلة لتحرق بها البيت وهذا لم يذكر فيها الغراب والحدأة وذكر عوضهما الحية والسبع العادى. (نفس المصدر١٦/٤٥)

كل لبيب يعرف أضرار العقرب والفأرة والكلب العقور أو ربما الحدأة ولكن ما هو السبب من وراء انتساب الغراب بذلک؟!

٦. استخدام الغراب فى الفنون الشعرية

لاشک أن استخدام الغراب فى الفنون الأدبية الشعرية بكل أنواعها البلاغية والبديعية فى أشعار الشعراء العرب والفرس ساهمت فى تشويه وجه الغراب التشاؤمى لدى عامة الناس. فحسان بن ثابت هجا الحارث بن هشام بن المغيرة فى البيت التالى: (الديوان: ٣٨)

فأَجْمَعْتُ أَنَّکَ أَنتَ أَلأَمُ مَنْ مَشَى   فى فُحْشِ مُومِسةٍ وزَوْکِ غُرابِ

يصور الشاعرُ هشامَ بن المغيرة بأبشع الصور، فيصفه بمومس فاجرة لا قيمة لها، والدونية ملازمة لها، كما ويصوره بغراب يمشى مِشية قبيحة، فالشاعر استخدم الغراب فى التعبير عن كرهه وهجائه لهذا الرجل، لأن الغراب باعتقاده يحمل صفات كريهة. فكان هدف الشاعر منها هو الهجاء.

وقد شبَّه الشاعر الفارسى «على معلم» أعداء الإمام الحسين (عليه السلام) بغربان سود عندما يقول: (نقلا عن موقع آفتاب www.aftabir.com)

زاغان سیاه کین به باغ دین کشیدند   از عندلیبان خوش‌آوا کین کشیدند

الترجمه: لقد جَرَّتِ الغربانُ عساكرَ الحقدِ إلى حديقة الدين فانتقمت من العنادل المتغردة.

فالغراب أصبح فى رأى الشاعر مصدرا للحقد والأذى.

وفى برهة أخرى نجد أبياتا منسوبة إلى فاطمة الصغرى بنت الإمام الحسين (عليه السلام) رثته بها عندما وقف الغراب على جدار البيت الذى كانت فيه فى المدينة فاستشعرت أن أباها قد قضى نحبه حيث كانت فى بيت أم سلمة وكانت لدى أم سلمة قارورة فيها من تراب كربلاء تتعاهدها كل يوم حيث أخبرها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه إن تحول دما فذلک علامة قتل الإمام الحسين (عليه السلام). (المجلسى،

١٧١/٤٥ الحديث ١٩، ١٦٤؛ الخوارزمی، ٢/ ٩٢)

نعق الغراب فقلتُ من تَنْعاه ويحکَ يا غرابْ
قال: الإمام فقلتُ من قال: الموفقُ للصوابْ
قلت: الحسين، فقال لی بمقال محــزون أجابْ
إن الحســين بکربلاء بين الأسنة والحرابْ
أبکی الحســين بعبرة ترضی الإله مع الثوابْ
ثم استقلتْ به الجناح فلم يطقْ رد الجوابْ

يقال إنها كانت فی انتظار رکب السبايا ولما رأت وسمعت البكاء والنحيب واستيقنت باستشهاد أبيها الإمام الحسين (عليه السلام) ومن معه أنشدت الأبيات.

وأنشد الشاعر الفارسی «أميرمُعزّی» - الذی کان يعيش فی القرن السادس الهجری - قائلا: (کليات ديوان أميرمُعزّی نيشابوری: ٢٥٨)

از روی يار خرگهی ايوان همی‌بینم تهی درجای آن سرو سهی بینم همه زاغ و زغن

الترجمة: لاأری الحبيب الغالی فی الإيوان فأری الغراب بدلا من السرو الرفيع.

فوجود الغراب مکان السرو الرفيع دليل علی تحسر الشاعر لعدم حضور مَن يستحقّ الحضور.

وقد شبَّه الشاعر الإيرانی المعاصر "فريدون مشيری" إدخال منقار الغراب فی الثلوج بطفل هندی غطّی شفتيه بالحليب:

(http://radiofarhang.irib.ir/community/thread-60.html)

منقارچودربرف‌زندزاغ،توگويی کز شير بيالوده دو لب بچه هندو

الترجمه: عندما ينقر الغراب فی الثلوج فکأنَّ الصبی الهندی غطّی شفتيه بالحليب.

ونری الشاعر الكبير صفی الدين الحلی يصف جاره بصفات للبوم والغراب:

(www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=shqas&qid=20379 &r=&rc=4)

لیَ جارٌ كأنهُ البومُ فی الشكلِ ولكن فـــی عُجبِــهِ، فغُرابُ

وقد جاء جلال الدين الرومی بتشبيهٍ تمثيلی قائلا: (مثنوی مولوی، ١٨٩/٣)

حميتی بــد جاهليت در دماغ   بانگ شومی بر دمنشان کرد زاغ

لقد كان للجاهليين تعصُّبٌ أعمى فى تفكيرهم كأنَّ الغراب نعب نعبة الشؤم على دمنهم.

وقال قيس بن المُلَوَّح المشهور بمجنون ليلى (ديوان: ۱۰۲)

إذا حالَ الغرابُ الجونُ دونى(۳)   فمنقلــبى إلــى ليلــى بعيــدُ

وقال الأخطل: (ديوان، ١٤١٤ق: ٥٠)

بَنَــوا كلَّ متفــالٍ كأن جبينهــا   اذا زَحَلَت عنه،جَبينُ الغرابِ(٤)

وقال الشريف المرتضى (www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWha t=shqas&qid=24290)

فقد صاحَ قبلَ البينِ لى بفراقِهِمْ   غرابٌ على فرعِ الأراكة أبقعُ

٧. الاشتقاق اللغوى للفظة الغراب

إن التشــاؤم من الغربان ربما يكون منشــؤه من اسمه الموحــى بالغربة والفراق، من هنا كثر تشــاؤمهم به واستيحاشــهم من رؤيته، وأشعارهم تظهر ذلک بجلاء. لاشک أن الاشــتقاق اللغوى له دور كبير فى التشاؤم بالغراب والدليل على ذلک ماورد فى أقوال اللغويين وبعض الشعراء من دلالة لفظ «الغراب» على معنى «الغربة والابتعاد» كما ذكر ابــن قتيبة الدينورى المتوفى ســنة ۲۷٦ ق فى كتابه «غريب الحديث» أبياتا عن جران العود قائلا: (١٤٠٨ق: ۲۰۳/۲)

جرى يومَ جئنا بالجِمالِ نزفُّها   عقابٌ وشحّاجٌ من البينِ يبرحُ

فأمّا العقابُ فهو منها عقوبةٌ   وأمّا الغرابُ فالغريبُ المطرّحُ

ويضيف قائلا: (نفس المصدر) نســب الشاعر جرى العقاب إلى العقوبة من صاحبته والغربــة إلى الغراب فترى إلى تقارب مابــين هذين التَّأويلين لأنه كان مفارقاً لأحبابه وجــرى العقاب بالأعقاب من الدّار ورجوع الحــال إلى ما يهوى لضعف المخاوف من المفارق وقوّة الآمال وهذا لأنه كان مقيماً مع أحبَّته فهذا كلُه شاهدٌ لما قد ذكرناه.

يذكــر الجاحظ بعض الاشــتقاقات التشــاؤمية والتفاؤلية عن أسمــاء الطيور قائلا: (الحيوان، ۳/ ٢٥٦) «فهو [الأعرابىّ] إذا شاء جعل الحَمام من الحِمام [الموت] والحميم والحُمَّى، وإن شــاء قال: وقالوا حماماتٌ فحمَّ لقاؤها وإذا شــاء اشــتقَّ البين من البان

[شــجرة ذات رائحة طيبة]، وإذا شاءَ اشتقَّ منه البيان. ولو شاء الأعرابيّ أن يقول إذا رأى ســوادَ الغراب: سواد سؤدد [السيادة]، وســواد الإنسان: شخصه، وسواد العراق: سعف نخله، والأسودان: الماء والتمر، وأشباه ذلک – لقاله. قال: وهؤلاء بأعيانهم الذين يصرِّفون الزَّجر كيف شــاؤوا، وإذا لم يجدوا من وقوع شــيءٍ بعد الزَّجر بُدّاً – هم الذين إذا بدا لهم فی ذلک بداء أنكروا الطِّيَرةَ والزَّجْر البتّة.

وجاء فی "لســان العــرب" لابن منظور أن من معانی الغراب: (مادة غرب) الســواد الذی يتشاءم منه الناس جميعاً، والخبث والغربة والغراب يعنی كذلک البعد والاغتراب، والأســود الغرابیّ هو شديد الســواد... ومن الغراب، الغروب والأفول والمغارب، ومنه مضاء الحدّ فی القطع وفی الضرب: "ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل"، أی الإبل الغريبة عن القطيع.

٨. تقليد الآباء

الأمور التی علمها الأبوان للإنســان عن التشــاؤم بالغراب هــی اعتقادات خاطئة وهذا الســبب يرجع إلى تقليد الآباء. فكلها اعتقــادات باطلة تلهی الناس عن الأخذ بالأســباب والانغماس فی مشاكلهم لحلها. وكل هذه الأشــياء كان لأهل زمان كَلِمَتُهم فيها، فمنهم من يتفاءل بها ومنهم من يتشــاءم منها بشــدة بل مازال البعض يتشاءم من الغراب. فهذه أشــياء توارثها الأجيال دون أن يعرفوا منشــأها، وكثير من هذه الأشياء يرتبط بمعتقدات قديمة، وغالبا ما يكون لها أسباب ومبررات ولكنها نسيت بمضی الزمن وظلت بقاياها فی معتقدات الناس دون أن يدركوا لتصرفاتهم وسلوكهم سببا. ففی المدن عندما يشــاهدون الغراب ســواء كان يمر فوقهم أو يحط على مكان أمامهم، أو يسمعون صوته يتشائمون منه.

٩. الاعتماد على تفاسير الأحلام

رغم وجود الكثير من الكتب فی مجال تفســير الأحلام لم نقدر الوثوق بها على وجه الدقة إلا ما اعتُمِدَ على القرآن الكريم والروايات الصحيحة لأنها قد تُنسَب إلى الإمام جعفر الصادق (عليه الســلام) أو ابن ســيرين أو غيرهما لايمكننا الاعتماد عليها بسبب

قلة المصادر الموثوقة فيها. لاشك أن تعبير الرؤيا علم عظيم مهم ورد فى القرآن الكريم وفى بعض الروايات الصحيحة عن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) والائمة المعصومين (سلام الله عليهم) ومبناه على حسن الفهم والعبور من الألفاظ والمحسوسات والمعنويات أو ما يناسبها بحسب حال الرائى وبحسب الوقت والحال المعلقة بالرؤيا. وقد أثنى الله على يوسف (عليه السلام) بعلمه بتأويل أحاديث الأحكام الشرعية والأحاديث المتعلقة بتعبير الرؤيا والفرق بين الأحلام التى لا سند لها مثل ما يُنسب إلى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) من أقوال غير حقيقية عن الغراب من دون سبب شرعى أو علمى كما مرَّ ذكره. فلذلك انعكست تلك الكراهية على تعبيرهم رؤية الغراب فى النَّوم، فالغراب فى الأحلام: رجل معجب بنفسه بخيل، غدار يستحلُّ قتل النفس، ومَن رأى أنَّه صاد غرابًا نال مالاً حرامًا، والغراب شؤم إن يُرَ على زرع أو شجر، ومن رأى كأن غرابًا على باب منزلـه، فإنه يَجنى جناية يندم عليها، ومَن رأى كأنّ غرابًا خدشـه، فإنَّه يهلك فى البرد الشَّديد، ومَن رأى أنَّه كلَّمه غراب، أو ولد له غراب، فإنَّه يرزق ولدًا فاسقًا وتدلُّ رؤيته على دفن الأموات، والتغرُّب. (انظر: النابلسى. (بلا تاريخ). ١١٤/٢ - ١١٥). وقد نجد تذبذبا شديدا فى تفسير الأحلام عن رؤية الغراب فى كتب تفاسير الأحلام.

٠١. الانطباعات الخاطئة عن سفر التكوين فى التوراة

سفر التكوين هو أول أسفار التوراة (الأسفار الخمسة للنبى الكريم موسى (عليه السلام) قيل: إن نوحا عندما طالت به الرحلة فى الطوفان أرسل الغراب رسولاً ليرى إذا ما كانت الأرض جفت وبانت اليابسة، حسب الرواية التى هى أقرب للأسطورة من الحقيقة، فالغراب لم يَعُد لأنة انشغل بأكل جيف الغرقى، ولكن لإنصاف الغراب لم يأت ما يؤكد تلك الرواية فى سفر التكوين أو حتى فى النصوص القرآنية، حيث جاءت النصوص فى سفر التكوين كما يلى (الإصحاح: ٨)

(٦) وحدث من بعد أربعين يوماً ان نوحا فتح طاقة الفلك التى كان قد عملها (٧) وأرسل الغراب فخرج مترددا حتى نشفت المياه عن الأرض (٨) ثم أرسل الحمامة من عنده ليرى هل قلت المياه عن وجه الأرض (٩) فلم تجد الحمامة مقرا لرجلها فرجعت إليه إلى الفلك لأن مياها كانت على وجه كل الأرض فمد يده وأخذها وأدخلها عنده

إلــى الفلک (۱۰) فلبث أيضا ســبعة أيام أخر وعاد فأرســل الحمامة من الفلک (۱۱) فأتت إليه الحمامة عند المساء وإذا ورقة زيتون خضراء فی فمها فعلم نوح أن المياه قد قلت عن الأرض (۱۲) فلبث أيضا ســبعة ايام أخر وأرسل الحمامة فلم تعد ترجع إليه أيضا (۱۳) وکان فی السنة الواحدة والست مئة فی الشهر الأول فی أول الشهر ان المياه نشفت عن الأرض فکشف نوح الغطاء عن الفلک ونظر فإذا وجه الأرض قد نشف.

وهنا ومن خلال النص الموجود فی ســفر التکوين، لا يوجد ما يشير على أن الغراب قد أکل لحم الجيف أو حتى ما يشــير إلى عدم عودته إلى الفلک مرة أخرى. کل ما ورد وحسب النص هو تردد الغراب فی المهمة. قد يعود ذلک إلى خوف الغراب من الطوفان أو تکاسله فقط، لذلک ليس من المعلوم من أين جاءت قصة انشغال الغراب بجيف الغرقى؟!

هذه الرواية لم تأت فی القرآن الکريم، ولا ورد بشأنها أی حديث سوى رواية واحدة عن قتادة رحمه الله قال: بعث نوح عليه السلام الحمامة فجاءت بورق الزيتون، فأعطيت الطوق الذی فی عنقها وخضاب رجليها.

وهنا ومن خلال النص الموجود فی سفرالتکوين لا يوجد ما يشير إلى أن الغراب قد أکل لحم الجيف، أو حتى ما يشــير إلى عدم عودته إلى الفلک مرة أخرى. کل ما ورد وحسب النص هو تردد الغراب فی المهمة، قد يعود ذلک إلى خوف الغراب من الطوفان أو تکاســله فقط لذلک ليس من المعلوم من أين قد جاءت قصة انشــغال الغراب بجيف الغرقى. فالانطباعات الخاطئة اِتَّهمت الغراب بأنه انشــغل عن نوح بجيفة. فلذلک متهم باللؤم والغدر.

هذا وقد جاء ذکره فی القرآن فی قصة ابنی آدم عليه الســلام ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَیْ آدَمَ بِالْحَــقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّکَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ❊ لَئِنْ بَسَــطْتَ إِلَیَّ يَدَکَ لِتَقْتُلَنِی مَا أَنَا بِبَاسِــطٍ يَدِیَ إِلَيْکَ لِأَقْتُلَکَ إِنِّی أَخَــافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ❊ إِنِّی أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِی وَإِثْمِکَ فَتَکُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِکَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (۲۹) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُــهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاســرِينَ ❊ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِی الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ کَيْفَ يُوَارِی سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَکُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِیَ سَوْأَةَ أَخِی فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ (المائدة: ۲۷ إلى ۳۱)

هذه الآيات تشير إلى:

أولا: هناک فرق بين سـرد قصة هابيل وقابيل وإرسـال الغـراب فى القرآن الكريم والتوراة.

ثانيـا: توضح إعجاز الخالق عزَّ وجلَّ بأنه بعث غرابا يوارى سـوءة أخيه ولماذا لم يبعـث طائر آخر؟ من خـلال الآيات الكريمة نجد أن الغـراب كان أول معلم لبنى آدم عندما جاء ليعلم الإنسان كيف يحترم جثمان أخيه الإنسان بعد أولى الجرائم فى البشرية!

النتيجة

١. على الرغم من الاختلاف فى التشـاؤم من بيئة لأخرى، أصبح التشاؤم بالغراب مشتركا بين الفارسية والعربية، حيث قلما ورد أن فارسيا أو عربيا أحب هذا الطائر، بل كرهه وكره رؤيته؛ فلذلک كان طائرا مشؤوما كريها خبيًثا لدى الفرس والعرب.

٢. يلاحظ من خلال الأشعار الواردة فى هذا المبحث أن الغراب مرتبط بشكل وثيق بموضوع فراق الأحبة والرحيل.

٣. كان هذا الطائر من أهم الطيور التى دخلت فى باب الطيرة، والزجر والعيافة.

٤. عكَسَ الغراب فى تجربة الشـعراء العرب والفرس الألوان التى تتلون بها نفسـية الشاعر ورؤيته الذاتية، فعكس حالات نفسية موجودة داخل الشاعر، كالتشاؤم والحزن والبكاء والخوف، فكانت صورة الغراب خير ممثل لما يجول فى خلدات النفس.

٥. الغراب وفق الأسـاطير والقصص الفارسية والعربية فهو مصدر الشؤم، فيتشاءم النـاس من شـكله وصوته، ويعتبرونه رمـزاً للخراب والدمار، فإن الخيال الشـعبى لا يتصور أن يعود إلى نوح عليه السـلام بأخبار السـلامة. ولذلک لا بد أن يبطئ عليهم وينشغل عنهم بجيفه.

٦. اسـتطاع هذا المخلوق الضعيف ليعلّم الإنسان رغم قوته وجبروته دروساً وعبر. والا فهل كان من المعقول أن طائرا ضعيفا كالغراب يعلم الإنسان دفن الموتى؟!

الهوامش

١. ولد فى مدينة هرسـين بمحافظة كرمانشـاه توفى فى كرمانشاه سنة ١٩٨٤ تسميته

بالشامى يرجع إلى تصغير اسمه «شاهمراد» فى اللهجة الكردية.

٢. من الشعراء المشهورين فى العهد الصفوية، ولد سنة ٩٣٠ الهجرية فى ومدينة بافق شـرقى إيران فدرس على أساتذة يزد الكبار ثم ذهب إلى مدينة كاشان للتدريس وفى خاتمة المطاف عاد إلى يزد حتى وافته المنية سنة ٩٩٧ الهجرية.

٣. حالَ دونَه: مَنَعَهُ؛ الغرابُ الجونُ: شديد السواد.

٤. المتفال: النتنة التى تستحق أن يُتفَل عليها؛ زحلت: كشفت.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الأبشيهى، شهاب الدين أحمد. (١٤١٢ ق). المستطرف فى كل فن مستظرف. بيروت: دار مكتبة الحياة.

ابن قتيبة الدينورى، عبد الله بن مسلم. (١٤٠٨ق). غريب الحديث. ط:١، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن ماجة، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزوينى. سنن ابن ماجة. طبع بيروت.

ابن منظور. لسان العرب. ط: ٣٦. بيروت: المكتبة الكاثوليكية.

الأخطل. (١٤١٤ق). ديوان الأخطل. شرح مهدى محمد ناصر الدين. بيروت: دارالكتب العلمية.

اعتصامى بروين. (١٣٧٧ش). ديوان. ط: ٢. تهران: انتشارات ساحل.

النابلسى، عبدالغنى. (لاتا). تعطير الأنام فى تفسير الأحلام. القاهرة: البابى الحلبى.

أمير معزّى نيشـابورى، ابو عبد الله محمد. (١٣٨٦ش). كليات ديوان أمير معزى نيشـابورى. ط: ١. تهران: لانا.

البحترى، الوليد بن عبيد بن يحيى. (١٩٦٣م). ديوان البحترى. شرح وتحقيق حسن كامل الصيرفى. ط: ١. القاهرة: دار المعارف.

بدوى، عبده. (١٩٨٨م). الشـعراء السـود وخصائصهم فى الشـعر العـربى. ط: ١. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

البغدادى، عبد القادر بن عمر. (١٩٨٦م). خزانة الأدب. ط:١. تحقيق عبد السلام هارون. القاهرة: مكتبة الخانجى.

الترمذى السـلمى، محمد بن عيسى. (بلا تأريخ) الجامع الصحيح المشهور بسنن الترمذى. بيروت: دار إحياء التراث العربى.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر.(١٩٥٨م). الحيوان، ط: ٢، تحقيق عبد السلام هارون. القاهرة: مطبعة مصطفى البابى الحلبى.

حسان بن ثابت. (لاتا). الديوان، شرح محمد عزت نصر الله. بيروت: دار إحياء التراث العربى.

الخوارزمی، أبو المؤیّد الموفّق بن أحمد المکّی. (۱٤۱۸ق). مقتل الحسـين. تحقّيق: محمّد السـماوی. ط: ۱. قمّ المقدّسة: دار أنوار الهدی.

شاهرخی، محمود وکاشانی، مشفق. (۱۳۷٦ش). آینه آفتاب. ط: ۲. لامک: انتشارات أسوه.

الصفـدی، أبـو الصفا صلاح الدين خليل بـن عز الدين أيبك بن عبـد الله الألبکی. (۱٤۰۹ق). الشعور بالعور. ط:۱، تحقيق عبد الرزاق حسين. عَمَّان – الأردن: دار عمار.

عنترة بن شداد العبسی. (۱۹۹۲م). ديوان. شرح الخطيب التبريزی. هوامش وفهارس مجيد طراد. ط: ۱. بيروت: دار الفکر العربی.

قيـس بن المُلَـوَّح. (۱٤۲۰ق). ديوان قيس بن المُلَوَّح. تعليق يسـری عبدالغـنی. ط: ۱. بيروت: دارالکتب العلمية.

المجلسـی، محمد باقر. (۱۹۸۳ م). بحار الأنـوار الجامعة لدُرر أخبار الائمة الأطهار. بيروت: دار إحياء التراث.

محمد علی، إبراهيم. (۲۰۰۱م). اللون فی الشـعر العربی قبل الإسـلام، قـراءة ميثولوجية. ط: ۱. طرابلس: جروس برس.

مولـوی، جلال الدين محمد بلخی. (۱۳۷۲ش). مثنوی معنوی. تصحيح الدکتور محمد اسـتعلامی. طهران: زوار.

مولوی، جلال الدين محمد بلخی. (لاتا). ديوان شمس. غزليات. تهران: لانا.

النابغة الذبيانی (لاتا). ديوان النابغة الذبيانی، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. مصر: دار المعارف.

نهج البلاغة. (۱۳۸۷ق). نسخة صبحی الصالح. ط: ۱. بيروت: دار الکتاب اللبنانی.

المجلات والصحف

الحجيری، محمد. (۲۰۰۸م). «غراب الشـعر» مجلة الغـاوون الإلکترونية. العدد ۸، تشرين الأول. بيروت.

المواقع الإلکترونية

www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=shqas&qid=2613&r=&rc=12
www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&file=print&qasno=9685
www.aftabir.com/articles/view/art_culture/literature_verse
www.alwarraq.com موقع الوراق
www.smartsch.com/forums/showthread.php?p=348